

## المحاضرة الثامنة : دولة الموحدين (515هـ - 668هـ)

### مقدمة:

إذا كان المرابطون قد وحدوا المغرب والأندلس سياسياً، فإن الموحدين حاولوا صهر المجتمع "عقائدياً". لقد كانت حركتهم أعنف وأعمق انقلاب فكري في تاريخ المنطقة.

### الإشكالية المحورية:

كيف استطاع مشروع 'المهدي بن تومرت' تحويل قبائل مصمودة الجبلية المعزولة إلى آلة عسكرية وعقائدية أسست لأكبر إمبراطورية في تاريخ المتوسط الغربي؟ وما هي دلالات تبني الموحدين للقب 'أمير المؤمنين' وقطع التبعية الرمزية عن المشرق؟

### المحور الأول: التأسيس الأيديولوجي

هنا يجب تفكيك فكر المؤسس محمد بن تومرت (المهدي).

شخصية ابن تومرت: الفقيه الأصولي الذي نهل من علم المشرق (تأثر بالغزالي والأشعري) وعاد لينقد الواقع المغربي.

### العقيدة الموحدية (جوهر الشرعية):

التوحيد ضد التجسيم: اتهم المرابطين بأنهم "مجسمة" (يشبهون الله بخلقه) لأنهم يأخذون بظاهر النصوص، بينما طرح هو "التأويل" الأشعري. (هذا هو المبرر الشرعي لقتال المرابطين: تكفيرهم).

**عقيدة "العصمة":** ادعاء أنه "المهدي المنتظر" المعصوم. هذه الفكرة (الشيعية الأصل) تم توظيفها في بيئة سنية لضمان الطاعة العمياء للقبائل.

**تعريب العقيدة (أو تمزيغها):** استخدام اللغة البربرية (كتاب "أعز ما يُطلب") لشرح العقيدة للعامة، مما خلق "قومية دينية" محلية.

**المحور الثاني: "التمييز" والتنظيم الهرمي (بنية الدولة)**

الدولة الموحدية تميزت بنظام إداري واجتماعي مرعب في دقته، لم يسبق له مثيل. **عملية "التمييز" (Tamyiz):** الاختبارات العقائدية والقتل الجماعي للمشكوك في ولائهم (تصفية المعارضة الداخلية).

**الهرمية السلطوية:**

**المهدي/ال خليفة:** قمة الهرم.

**مجلس العشرة:** الصحابة الأوائل (مجلس القيادة).

**مجلس الخمسين:** شيوخ القبائل المصمودية (الواجهة القبلية).

**الطلبة:** فئة "الكوادر العقائدية" والحفظة (النخبة المثقفة).

**الحفاظ والجند:** العامة.

هذا النظام ضمن تماسك الدولة ودمج القبيلة في "الجهاز"

**المحور الثالث: عبد المؤمن بن علي.. "المؤسس الثاني" (بناء الإمبراطورية)**

لولا عبد المؤمن (الزناني الغريب عن مصمودة) لانتهت الحركة بموت ابن تومرت. **عبقرية الخلافة:**

كتمان خبر وفاة المهدي لسنوات حتى رتب البيت الداخلي.

تحويل الحكم من "الوراثة الروحية" إلى "الوراثة السلالية" (توريث أبنائه)، مما أغضب شيوخ مصمودة ولكن ضمن استمرار الدولة.

**التوسع الجغرافي (توحيد المغرب الكبير):**

القضاء على المرابطين (دخول مراکش 541هـ).

القضاء على الحماديين في بجاية والزييريين في إفريقية.

الوصول إلى طرابلس وبرقة. لأول مرة (وآخر مرة) تتوحد شمال إفريقيا كلها من حدود مصر إلى المحيط تحت راية واحدة.

لقب "أمير المؤمنين": إعلان الاستقلال التام والندية للخلافة العباسية.

**المحور الرابع: العصر الذهبي (الفلاسفة والملوك)**

فترة الخلفاء: أبو يعقوب يوسف، وأبو يوسف يعقوب المنصور.

**النهضة الفكرية:**

احتضان الفلسفة والعلوم (عكس المرابطين). ظهور ابن طفيل وابن رشد (الذي كان قاضي القضاة).

سؤال للنقاش: كيف لدولة قامت على التشدد العقائدي (ابن تومرت) أن ترعى الفلسفة العقلانية (ابن رشد)؟ (الإجابة: الموحدون تبنا "البرهان" العقلي في العقيدة، مما فتح الباب للمنطق والفلسفة).

العمارة الضخمة: صوامع الكتبية (مراكش)، الخير الدا (إشبيلية)، وحسان (الرباط).  
تعبير عن "العظمة" الإمبراطورية.

**المحور الخامس: بداية النهاية (معركة الأرك ومعركة العقاب)**

معركة الأرك (591هـ/1195م): انتصار ساحق للموحدين، لكنه كان "الصحة التي تسبق الموت".

**معركة العقاب (609هـ/1212م) Las Navas de Tolosa**

الحدث: هزيمة الناصر الموحي أمام التحالف الصليبي الأوروبي.

التحليل: لماذا كانت "القاضية"؟ لأنها دمرت الجيش النظامي (النواة الصلبة)، وكسرت الهيبة النفسية للدولة، وفتحت الباب لثورات القبائل (بني مرين).

تخلي المأمون عن العقيدة الموحدية: حين أعلن الخليفة المأمون (لاحقاً) بطلان عقيدة المهدي، فقدت الدولة مبرر وجودها الشرعي.

### الخاتمة: تفكك الإمبراطورية وميراثها

تفككت الإمبراطورية إلى ثلاث دول وريثة (الحفصيون في تونس، الزيانيون في الجزائر، المرينيون في المغرب).

الإرث: الموحدون رسخوا فكرة "المغرب الكبير"، وتركوا تراثاً فكرياً وعمرانياً لا يزال حياً.

### قائمة المصادر والمراجع المقترحة

#### أ. المصادر (أساسية جداً):

البيزق (أبو بكر الصنهاجي: (أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين). شاهد عيان ومرافق للمهدي، مصدر لا يقدر بثمن لفهم البدايات).

عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب. (كتبه في المشرق بحنين جارف، ويقدم تحليلاً دقيقاً لفترة الازدهار).

ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة. (تاريخ مفصل لفترة الخليفين يوسف ويعقوب).

#### ب. المراجع الحديثة:

أمبروسيو هويثي ميراندا: (A. Huici Miranda) التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية. (المرجع الكلاسيكي العالمي لهذا الموضوع).

محمد الطالب: دراساته حول العقيدة الموحدية وابن تومرت.

عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي.

عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكرية. (تحليل للفكر الديني).

زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي.